IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 4 ، العدد 2 ، كانون الاول 2023

أنساق التواصل في الرسائل الأدبية في عصري الطوائف والمرابطين نــسق الشفاعة انموذجاً

أ. م. د. زهراء نعمة السعدي [1] ، دعاء علي هادي [2]

انتساب الباحثين
[1، 2] جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، العراق، النجف الأشرف، 54001

[1] zahraa.alsaadi@uokufa.edu.iq
[2] doaa67096@gmail.com

[2] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الاول 2023

الملخص
تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على الرسائل الأدبية في حقبة الطوائف والمرابطين التي حملت أنساق التواصل في تلك الحقبة، وإنّ موضوع الشفاعة والوصايا من الموضوعات التي تعنى بالعلاقات الاجتماعية والروابط الاخوية والإنسانية التي تشد أفراد المجتمع في نواحي الحياة جميعها؛ وقد وجهت الرسائل المتضمنة للشفاعة إلى الرؤساء واصحاب السلطة؛ وقسمت اصناف المشفوع لهم إلى ثلاثة اصناف وهم: الأدباء، والناس عامة، والسجناء، وقد تضمنت هذه الرسائل أنساقاً متناسبة مع المقام الذي قيلت فيه؛ فتعددت هذه الأنساق بحسب تنوع مجريات الأحداث في عصري الطوائف والمرابطين، أيّ المجريات السياسية، والاجتماعية وكما هو معلوم للدارسين بأن هذه الحقبة كانت مليئة بالأحداث والانقلابات وتكالب الأحداث؛ فسعت هذه الدراسة لابراز النواحي الاجتماعية التي أثرت فيها الظروف السياسية، فكان من بين هذه الظواهر حصول القطيعة بين الاصدقاء، مما أفرز فيما بعد ظهور نسق الصداقة، ونتيجة لمركزية السلطة وسيطرة الامراء ظهر نسق الثناء والتقرب والتودد، وفضلاً عن ذلك ظهر نسق الشفاعة بدافع التوسط لبعض من فئات المجتمع، فعمل الكتّاب على استعطاف واستشفاع لبعض الاصدقاء والاقارب لدى اصحاب السلطة والكبراء من أرباب الدولة، لقد استعمل كثير من الكتاب المشهورين مكانتهم وقدرهم واقلامهم في إعانة ذوي الحاجات على قضاء حاجاتهم، فكثرت الوصايا والشفاعات التي كانوا يوجهونها إلى الأمراء والوزراء وغيرهم ، بحسب طبيعة المشفوع لهم فكان هناك السجناء، والادباء ، والشفاعة لعامة الناس بقضاء حوائجهم عند الامراء والخلفاء، فجاءت هذه الرسائل محملة بالأنساق الكاشفة عن حال هذه الفئات وما تعرضت له من ظروف أدت بها إلى هذا الحال؛ فاستطاع الأدباء بما يملكونه من ملكة أدبية من تصوير هذه الأحوال واستعمال الأنساق المناسبة لكل حالة من حالات هذه الفئات المشفوع لهم.

الكلمات المفتاحية : أنساق، التواصل، الرسائل، الشفاعة

Forms of Communication in Literary Messages in the Modern Sects and Almoravids the Intercession Format as a Model

Assist. Prof. Zahra Neamat Al Saadi [1] , Doaa Ali Hadi [2]

Affiliation of Authors
[1, 2] Kufa University, Education for girls, Iraq, Najaf, 54001

[1] zahraa.alsaadi@uokufa.edu.iq
[2] doaa67096@gmail.com

[2] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Dec. 2023

Abstract
The study seeks to shed light on the literary messages in the era of the sects and the Almoravids that carried the modes of communication in that era. The subject of intercession and commandments is one of the topics concerned with social relations and fraternal and human ties that bind community members in all aspects of life; Messages containing intercession were addressed to presidents and those in authority; The categories of intercession were divided into three categories: the writers, the people in general, and the prisoners. These letters included formats commensurate with the place in which they were spoken; These patterns varied according to the diversity of the course of events in the era of the sects and the Almoravids, that is, the political and social processes, and as it is known to the scholars that this era was full of events, coups and events; This study sought to highlight the social aspects in which the political conditions affected, and among these phenomena was the occurrence of a estrangement between friends, which later resulted in the emergence of the friendship pattern, and as a result of the centralization of power and the control of the princes, the pattern of praise, closeness and courtship appeared, in addition to that, the pattern of intercession appeared with the

motive of mediation for some of the groups Society, so writers sought the sympathy and intercession of some friends and relatives with the people of authority and the chiefs of the state. There are prisoners, writers, and intercession for the common people to fulfill their needs with the princes and caliphs, so these messages came loaded with forms revealing about the condition of these groups and the circumstances they were exposed to that led them to this state; The writers, with their literary talent, were able to depict these conditions and use the appropriate formats for each of the cases of these categories that are interceded for them.

Keywords: Coordinate, Communication, Messages, Intercession

المقدمة:

إنّ هذا الموضوع؛ موضوع الشفاعة والوصايا من الموضوعات التي تعنى بالعلاقات الاجتماعية والروابط الاخوية والإنسانية التي تشد أفراد المجتمع في نواحي الحياة جميعها[1].

فكانت الرسائل التي تضمنت هذا الموضوع تُكتب "إلى الرؤساء، والوجهاء في حق الكتاب والشعراء والقوّاد وغيرهم، من مختلف الطبقات والأصناف، يدعونهم فيها إلى معونتهم ومساعدتهم والأخذ بيدهم. لقد استخدم كثير من الكتاب المشهورين مكانتهم وقدرهم واقلامهم في إعانة ذوي الحاجات على قضاء حاجاتهم، فكثرت الوصايا والشفاعات التي كانوا يوجهونها إلى الأمراء والوزراء وغيرهم"[2].

إنّ الكُتَّاب احتلوا منزلة مرموقة عند الحكام والسلاطين وهذا الأمر جعل الشخصية الشفاعية الأندلسية شخصية متميزة، لأن الرسائل الشفاعية تقدم إلى ذوي المناصب العليا في الدولة ويمتلك صاحب الشفاعة شخصية قوية قادرة على مواجهة الحاكم، وتعود شهرة الكُتَّاب في الاندلس إلى ارتباط خطة الكتابة بالرئاسة والسلطان ؛لأن حاجة السلطان الى كاتب يعينه في توجيه أمور الحكم أكثر من شاعر يطريه ساعة من الزمن [3]، ومما يؤكد أهمية الشخصية الشفاعية إن المشفوع عنده لا يقبل الشفاعة إلا إذا كانت صادرة من شخصية متميزة وقادرة على التأثير في المتلقي .

التمهيد: الشفاعة لغةً واصطلاحاً

ذكرت المعجمات اللغوية الشفاعة ومعانيها المتعددة في ضوء مادة شفع فقد ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) بالقول : " الشَّفع : ما كان من العدد ازواجاً . تقول : كان وتراً فشفعته بالآخر حتى صار شفعاً وفي القرآن . " والشفع والوتر " (الفجر الآية 3) ، وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عَرَفة ... والشافع الطالب لغيره .

ونقول استشفعت بفلان فتشفع لي إليه فشفَّعهُ فيَّ، والاسم : الشفاعة . واسم الطالب: الشفيع "[4].

وهنا يتبين من قول الفراهيدي ان الشفاعة يريد بها الكثرة والعدد، وذكر صاحب الجمهرة ابن دريد (ت 231هـ) بأن الشفاعة يراد بها طلب العون والمساعدة للآخر قائلاً " سُميت شُفعةً لأنه يشفع بها ماله ... وشفع فلانٌ لفلانٍ إذا جاء ثانية ملتمساً مطلبه ومُعيناً له ." [5].

وذهب ابن فارس(ت395هـ) مثل مذهب الفراهيدي، إذ ذكر أنّ الشفاعة تعني الكثرة والعدد وذلك بقوله: " مشفع، الشين والفاء والعين أصلٌ صحيح يدلّ على مقارنة الشيئين من ذلك الشفع خلاف الوتر ... ويحكي : أنَّ فلاناً يشفع لي بالعداوة، أي يعين عليَّ "[6].

أما ابن منظور (ت 711هـ) فانه يورد معاني للشفاعة منها " الشفع يوم الأضحى، وقال عطاء: الوتر هو الله، والشفع خلقه. وقال ابن عباس: الوترَ آدمُ يُشفع بزوجته. وعين شافعةٌ: تنظرُ نظرين: والشَّفعُ: ما شُفِع به ... وشُفعة الضحى: ركعتا الضحى ... وإنما سمّاها شَفعة لأنها أكثر من واحدة ... وشَفَعَ لي بالعداوة : اعان عليّ ... والشفاعة: كلام الشَّفيع للتملكِ في حاجة يسألها لغيره . وشفع إليه: في معنى طَلَبَ إليه. والشَّافعُ: الطالب لغيره يشفع به إلى المطلوب يقال: تشفعتُ بفلانٍ إلى فلان فشفعني فيه تَشفِيعاً؛ قال حاتم يخاطب النعمان:

فَكَكتَ عَدِيّاً كُلَّها مِن إسارِهَا فَأَفضِل وشَفِّعنِي بِقَيسِ بن جَحدَرِ

وفي حديث الحدود إذا بلغ الحدُّ السلطان فلعن الله الشَّافِعَ والمُشَفِّع .وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم والمُشَفَّعُ :

الذي يقبل الشفاعة، والمُشَفَّعُ : الذي تقبل شفاعته"[7] فنلاحظ على قول ابن منظور انه حوى جميع المعاني التي خدمها أصحاب المعاجم قبله فمنها الكثرة، والعدد، والمساعدة على طلب ما، والإعانة، والزيادة والطلب، والسؤال والدعاء ونلاحظ أن ما اورده ابن منظور ليس معنى لغويا بل هو معنى اصطلاحي ايضا، إذ ذكر أركان الشفاعة، وأنّ الشفاعة تتوقف على ثلاثة أطراف هم (الشافع , والمشفوع عنه، والمشفوع عنده)، فالعملية الشفاعية تتكون من هذه الركائز، ولا يكاد يخلو منها أيّ نص شفاعي ويكون قد خلا من طرف واحد فقط، وهذهِ الركائز هي (الشافع، والمشفوع عنه، والمتشفع عنده) وهما يشدان نسيج الشفاعة .

فالشافع هو الركيزة الاساسية في الشفاعة، وهو الذي تقوم به الشفاعة وتعتمد عليه، وقد وَطَّنَ نفسه وروضها لثلاث "إمَّا بَذل مالهِ ولا يَبذُل مالَهُ إلا ذُو مروءة يَفرِض على نَفسه حقًّا فيه لقاصِدِيه؛ وإما بذل جاهِه وفي بَذل الجاه إراقُة ماء الوجه والتعرُّضُ لموقِف الردّ ؛ وإمَّا الاستِنزالُ عن سخينةٍ وموجدة في النزول عنهما كفُّ حَدّ الغَضَب وغَضُّ طرف الحنَق وهما صَعبان إلَّا على من فَضَل حِلْمه ، ولَطُف فهمه"[8] ومن هنا يتبين لنا ليس كلُّ شخص يستطيع أن يكون شافعاً فلا بد أن تتوافر فيه شروط معينة كما أوضحها القلقشندي في قوله المتقدم .

والمتشفع عنده :- وهو الذي يتوقف عليه قبول الشفاعة ورفضها .

والمشفوع عنه :- وهو الذي تمدَّ له يد المساعدة ويكون قد أصابه ضيق وعنت ومن أجله وجدت الشفاعة، ولأجله وقف الشافع طالباً متوسلاً مستعطفاً. ويبرز لنا من بين أغراض الشفاعة البنية الموضوعاتية لهذهِ الرسائل فقد تكون رسائل تامة او ناقصة وهذا ما سنوضحهُ في الصفحات القادمة من البحث.

وهكذا فقد تعددت معاني الشفاعة والمراد منها شيءٌ واحدٌ وهو الأمانة واللجوء للآخر، وطلب المساعدة منه، وكذلك وردت لفظة الشفاعة في كتب المفردات والمصطلحات القديمة وذكر أصحابها معنى الشفاعة وأوردوا لها الأمثلة العديدة، فقد عرفها الراغب الأصفهاني (ت502هـ): " "بانها الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمة ومرتبة إلى من هو أدنى "[9] .

أما ابن الأثير (ت 606هـ) فقد ذكر الشفاعة بقوله: " الشُّفعة في كل ما لم يقسم والشفعة في الملكِ معروفةٌ، وهي مشتقَّةٌ من الزيادة، لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفَعُه به ... والشفاعة هي السؤال في التَّجاوز عن الذُّنوب والجرائمِ "[10].

أما الذهبي (ت 748هـ) فقال: إن الشفاعة هي مسألة من المسائل العقدية المهمة عند أهل السنة والجماعة من المسلمين , إذ يرونها من الأمور الواجب الإيمان والتصديق بها[11] .

أما الشريف الجرجاني (ت 816هـ) فقال: " الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه "[12] . وبذلك يمكننا القول بأن معنى الشفاعة في كتب المفردات أجمعت على معنى واحد لها هو طلب المعونة من الشخص الآخر، والالتجاء إليه ليكون عوناً له وتطلب من الأدنى للأعلى .

المبحث الأول: الشفاعة للأدباء: ومن أمثلة رسائل الشفاعة الموجهة إلى الملوك في هذا الشأن ما كتبه ابن زيدون[13] إلى المظفر بن الأفطس[14] يشفع لأحد الأدباء قائلاً:" **... إلى أن نَدَبَني الأديبُ أبو فلان إلى مخاطبته، وحرَّضني على مكاتبته، ونبهني على ما في التثاقُلِ عن مُداخلته، من التضييع الصّريح، والتقصير البينِ الصريح... ورأيتُ من شكر يد العلياء فيما حثني إليه.. أن استفتح باب المكاتبة بالشفاعة ، وانهج طريق المخاطبة في العناية به، وبيننا، بَعْدُ، من ذمام الطلبِ، وحُرمةِ الودّ والأدب، ما استقصرُ نفسي معهُ أنّ اتقدم في خدمةِ رغبته بقلمي، وقد تأخرتْ قَدَمي، ويُعدَّ لاقتصار غيبته كتابي، دون أن أزُمَّ لذلك ركابي، وهو فتىً نام جدّهُ..."**[15].

يبدأ النص باستعمال الأنا/ ابن زيدون لنسق الثناء على الآخر/ ابن الأفطس، فالكاتب أراد من ذكره لنسق الثناء أن يوصل للآخر/ ابن الأفطس الأعجاب بشخصيته والإشادة بمناقبه، والرغبة في الوصول إليه والاتصال به، ثم ينتقل الكاتب لإبراز النسق العام للنص وهو نسق الشفاعة فهو يتشفع له يحرضه على الاستعاضة بالكتابة عن السفر ما دام البعد مانعاً له عن تحقيق رغبته هذه[16]؛ وتستعمل الأنا/ ابن زيدون أسلوب المفاوضة مع الآخر بتقديم الاعذار والمسوغات للمشفوع عنده من أجل أن يرقَّ قلبه على المشفوع له، وذكر ايضاً أنه ذهب ضحية المؤامرات التي حصلت داخل القصر وكذلك الوشايات التي دبرت ضده، وكان أثر تلك المؤامرات أن طرد من بلده وأبعد عن أحبته. وكثيرة هي المؤامرات التي تحاك ضد الأدباء المقربين من السلاطين والامراء أما بسبب الحسد والحقد أو لأسباب أُخر، فكان نسق الاستعطاف وطلب الغفران للآخر/ المشفوع له.

ومن بين رسائل الشفاعة التي قيلت بحق الأدباء والاهتمام بهم إذ توجد هناك رسائل للاهتمام بالأدباء ولكنها من نوع مختلف عمّا ورد وتسمى بالزرزوريات وهي لون طريف من الوان الترسل

عرفه الكتّاب في القرن السادس في الاندلس رسائل تصف أصحاب الكدية من الأدباء الأندلسيين في اطار الفكاهة، والسخرية واتخذوا من طائر الزرزور إطاراً يتحدثون فيه عن الكدية، لما يتصف به الزرزور من خفة الحركة والنشاط[(17)]، تقوم الزرزوريات على محورين الاول التودد والشفاعة والكدية، فاتخذت منهما افقاً، والثاني السخرية الفكهة، فاتخذت منها أداة [(18)] ولقد نشأت هذهِ الرسائل في عصر المرابطين، وكان أول من طرق بابها هو الاديب أبو الحسين بن السراج وكتب رسالة الشفاعة لرجل يعرف بالزريزر، وقلّده بعض معاصريه أمثال ابن الجد وابن عبد الغفور وأبي عامر الاصيلي وأبي عبد الله بن ابي الخصال[(19)] ويقال أن أصل هذا النوع من الرسائل هو استثارة لفظية عابرة طوّرها الكتّاب لإبراز البراعة والسخرية فاستغلوا الإيحاء اللفظي العابر لتلك المفردة، مستعيرون ما لهذا الطائر من صفات وأسماء[(20)] وليس كلُّ رسائل الزرزوريات قيلت للشفاعة فمنها السخرية والتفكه ،ومنها للتشوق والتودد، ومنها لإظهار البراعة والتفوق [(21)] وسوف يتم التركيز على الرسائل الشفاعية منها فقط ومن تلك الرسائل التي قيلت بحق الزرزور والشفاعة له رسالة الوزير أبي الحسين بن السراج[22] التي خاطب بها بعضاً من أهل العصر برقعة يشفع فيها لرجل يعرف بالزرزير[23] فابتدأ رسالته هذهِ كأي رسالة شفاعة من الثناء والتذكير بالمودة والصداقة ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الشفاعة لهذا الرجل فقد ذكر صفاته العديدة وقد أحسن في التعبير ويكاد يخيل للقارئ بأنه يتحدث عن طائر فعلاً لا عن شخص بعينه ومما ورد في بعضٍ من فصولها قوله:" **كتبتُ أحرفي هذه والود صقيل الوذائل مطلول الخمائل، جميل البكر والأصائل والله تعالى يزيد أزهاره وضوحاً وأطياره ممدوحاً وضياءه تيامناً وسبوحاً بمنه ويصل به ــ وصل الله الله علوك وكبت عدوك ـ شخصٌ من الطيور يُعرفُ بالزرزير أقام أيام التحسير وزمان التبليغ بالشكير، فلما وافى ريشه وبنت بأفراخه عشوشه أزمع عنا قطوعاً وعلى هذا الأفق اللدن تدلياً ووقوعاً، رجاء أن يلقى في تلك البساتين معمراً، وعلى تلك الغصون حَباً وثمراً، وأنت بجميل تأتّيك ، وكرم معاليك ، تصنعُ له هنالك وكُوناً ، وتسمع من نغم شكره على ذلك أغاريد ولحوناً...**"[(24)].

يبدأ النص باستعمال الأنا/ الكاتب لأسلوب التودد واستعطاف الآخر/ الخليفة؛ فيرسم صورة لحال الآخر/ المشفوع له (الزرزور)؛ كما أنه يستعمل نسق الشفاعة عن طريق إيراد جملة من الألفاظ المتعلقة بالطيور ليُعبر عن الآخر/ المشفوع له والمشبه بالزرزور؛ وخفته وتصرفاته التي تقرب من تصرفات الطيور في بيضها وتنقلها فمن هذه الألفاظ التي وردت في النص(تحسير، وشكير، وريش، وفرخ، وعش، وقطوع)[(25)]؛ وهذا عمدت إليه الأنا من إظهار ضعف شخصية الآخر؛ ويُشير إلى النسق الأهم في هذه القطعة النثرية ألا وهو نسق الكدية والتسول الذي دعا بهذا الآخر/ المشفوع له (رجاء أن يلقى في تلك البساتين معمراً) فاستطاع أن يرسم له صورة غاية في الدقة والبراعة ليصور حالة التهكم والاستهزاء بهذا الشخص لما فعله من تقليل شأنه بالتسول والكدية؛ والملاحظ أن الكاتب يُشير إلى نسق اجتماعي مهم وهو الالتزام بالأخلاق العربية الفاضلة من عدم إراقة ماء الوجه للحصول على العطايا.

المبحث الثاني: الشفاعة لناس عامة: ومن ذلك رسالة شفاعة كانت موجهة إلى ابن الأفطس أيضاً كتبها ابو عبدالله محمد بن شرف[26] يشفع لرجلٍ كان قد أخذ بوشاية عنده، قائلاً فيها: " **كتبت وشوقي إلى شرف لقياه، وشبم سقياه، وشوق القارظين إلى سكونٍ وسكنى ...واعتلاقي بذكره اعتلاق مالك وعقيل، وقفا نبك بالملك الضليل... لي رغبة إلى مفاخره، وتطارح بين يدي مآثره ، وإدلال على سماحة سجاياه**"[(27)].

افتتحت الأنا/ الكاتب النص بنسق الشوق واللهفة لقاءالآخر/ ابن الافطس، ثم بدأن بعد ذلك باظهار مشاعرها في التودد والتقرب من الآخر/ ابن الأفطس، والملاحظ أنه (الكاتب) يورد شخصيات في حديثه يعضد بها كلامه فيستعمل هذا الأسلوب ليُعظم من مكانة المتلقي؛ ويسترسل في حديثه ليصل إلى غايته فيقول:" **وذلك أن شيخاً يفنأ قصد فنائي ، فبكى حتى بل بفضل دموعه ردائي ، ومنعه الشوق بشجاه، من الكلام على ما ارتجاه ثم ذكر أنه كاسب نُسيات وأبو بنين وبنات... ووصف أن بغاةً بغوه، وحسدةً آذوه، وتنصل من ذنوبٍ قرفوه بها، ومولاي أعلم بصدقها من كذبها**"[(28)].

فيُشير الكاتب إلى جانب نسق الشفاعة نسق التعاطف مع حال هذا الآخر/ الشيخ ؛ ويشرح حالته مشيراً إلى نسق التوبة من الذنوب بقوله (تنصل من ذنوب قرفوه بها)؛ وتُشير الأنا إلى إن الآخر/ الخليفة صدره رحب في تقبل الاعذار وتسويغ الأحداث فإنه يعفو ويصفح لأنه أهل لذلك.

ونجد رسالة شفاعة لابن خفاجة[29] يطلب فيها العمل للمشفوع له قائلاً: "**ومؤدية ابو فلان الكحال، وهو وإن كرمت أكحاله، واحمدت في الصنعة حاله، لم تبلغ قوة كحله ،إلى أن تجلو البصر حتى ترى الغيب، وتشاهد القدر ، وقد وردكَ يخبط في نهارهِ في**

ليلة ظلماء، ويقلب مقلةً عمياء ، ولا غرو فالعين هي العينُ، ولعله وعساه، ان يكون عِيساه"[30].

الأنا/ ابن خفاجة هنا اشادت بالآخر بقدرته على العمل، باستعمال نسق الثناء والترغيب بهذا العامل، وتستعمل الأنا نسق الشفاعة بحق هذا الرجل واصفةً إياه مسبغة عليه ادق الصفات، حاولت الأنا/ ابن خفاجة أن يشرح حال المشفوع له، ووصف عمله والاشادة به وقد اتخذ من مهارته في عمله سبيلاً إلى الاستشفاع له .

المبحث الثالث: الشفاعة للسجناء: إن الشفاعة بحق السجناء والاسارى تحتاج من الشافع إلى اهتمام كبير في استعمال الألفاظ والصيغ والأساليب لمراعاة المقام والحال، "فضلاً عن تصوير حالة أو حال من يستشفع له بصورة مؤثرة ينقل معها احاسيسه ومشاعره كيما يستعطف بها المشفوع عنده أو لديه، ولربما يتعرض الشافع إلى السخط والاهانة ، ولربما العقوبة من لدن المشفوع عنده لأن القضية حساسة فهذا النوع من الرسائل يختلف في اسلوب طرحه ومعالجته عن الرسائل الأخرى"[31].

من ذلك رسالة انشأها الاديب أبو محمد بن عبد البر[32] بحق رجل سجين قائلاً : **"يلزمني – أيّد الله مولاي – علانق لو وقف منها على السرّ لتجلى له وجهُ العذر من هزّ فضله في شأن فلان مملوكه وحبيسة برَّه، ليعطف عليه عطفة الماجد ، ويحنو عليه حُنَّو الوالد، على فراخٍ كزغب القطا*، وعيالٍ ليس منهنَّ إلاَّ المفجعَةَ الحرّى دموعها تنهلُّ كالسحاب، وضلوعها تلتهبُ بنارِ الاكتئاب"**[33] .

الأنا/ الكاتب أوضحت في ثنايا هذه الرسالة النبرة الاستعطافية التي وصف بها الكاتب عن هموم المشفوع له، مستعملاً نسق الشفاعة ذاكراً حال هذا الرجل وما يعانيه عياله أثر فقدانه؛ لأنه هو المعيل الوحيد لهم، ولم يتضح الجرم الذي ارتكبه لسجنه فالشافع اتخذ من حالة عياله وسيلة مهمة لإيصال همومه إلى الآخر/ المشفوع عنده من أجل التأثير فيه، فكان الطريق للاستعطاف هنا هم الاولاد والعيال؛ فالشافع الأنا هنا يطلب من المشفوع عنده إذا لم يرق قلبه للمذنب، فليرق قلبه على عياله واطفاله، فاستعمل أسلوب الاستعطاف وكذلك ذكر أصله ومغرسه وعشيرته ومكانتها فليرق لهؤلاء ويعفو عن المذنب. فهذا طريق خاص أتى به الشافع للتأثير في المشفوع عنده، واتخذ طريقاً آخر عاماً متمثلاً بذكر الحوادث التاريخية التي عفا فيها أصحاب الشأن عن المذنبين والصفح عنهم قائلاً: **"وأذكره كلمة المأمون: لو علم الناس حرصنا على العفو لتواصلوا إلينا بالذنوب ...، وكان الحجاج قد استأصل بالقتل أسرى ابن الاشعث حتى انتهى إلى فتى منهم فقال: أيها الأمير: لئن اسأنا في الذنوب ما أحسنت في العفو فقال الحجاج ، أما كان فيهم أحدٌ يحسن مثل هذا"**[34].

فأخذ الكتّاب يعبرون عن شكوى السجناء وهمومهم ومعاناتهم في السجن لما كان يطبقه الحكام من قواعد صارمة بحقهم، فقد اتخذ الحكام تأديباً لخصومهم بسجنهم بها، وللخارجين عنهم والمذنبين، وكانوا يشددون في حراستها، وفي عزلها عن الناس حتى لا يساعدهم أحدٌ على الهرب. ومن الرسائل التي تكشف عن حال السجن والمسجونين رسالة أبي محمد بن الجبير بحق شخص مسجون فأخذ يستعطف قلبه عن طريق أم المسجون وكيف يطلب الشافع عن طريق اظهار عواطفها تجاه ابنها؛ لم يذكر في هذهِ الرسالة عذابات المسجون ومعاناته في سجنه، فأخذ الشافع يستعطف قلب المشفوع عنده من أجل اطلاق سراح المشفوع عنه بعد أن تعذب وذاق مرارة السجن، وحجز الحرية وأنواع العذاب النفسي والجسدي الذي يتعرض له المسجونون فيتفاعل ذلك في نفسه؛ ويريد أن يشكو همَّه لأحد فالشافع ينقل تجربة ذلك الشخص فيحكي عن لسانه؛ وكأنه من ذاق مرارة السجن فاتخذ الشافع من ام السجين طريقاً لعرض حاله، والتأثير في المشفوع عنده وهي نقطة انطلاق ليعفو عنه ويرحمه من سجنه إذ قال: **"فلو ترى أمّهُ أمّتكَ – سترها الله – وهي من أليم أشفاقها، وعظيم وجدها، وانطباقِها، فقد ذهبت أو كادت بل قاربت وزادت، لولا ناظرٌ عريق يطرفُ، وعينٌ سخينةٌ تذرفُ، ورُبَّ عيشٍ أخفُّ مِنهُ الحِمام(*)لاحتدمت، مما رحمت ، ولا استعبرت ، مما ابصرتَ ، وهذا المسجون المحزونُ ، المظلوم ، الذي غلبَّ صبرها ، همّهُ وملا صدرها مُلمُمهُ..."**[35].

ونجد ابن زيدون في رسالته الجدية التي وجهها إلى الأمير ابن جهور وقد كتبها في أثناء سجنه في قرطبة، يستعطف فيها ابن جهور ولي العهد، حتى يستشفع له عند والده أبي الحزم ليطلق سراحه فيقول:**" حنانيكَ ، قد بلغَ السيلُ الزُّبى، ونالني ما حسبي به وكفى، وما أراني إلا لو أنّي أمرتُ بالسجود لآدم فأبيتُ واستكبرت، وقال لي نوح (أركب معنا) فقلت سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، وأمرتُ ببناء الصرحِ لعلّي أطلع إلى إلهِ موسى، واعتديتُ في السبتِ ، وتعاطيتُ فعقرت ، وشربت من ماء النهرِ الذي ابتليَ به جنود طالوت، وقدتُ الفيلَ لإبرهةَ ، وعاهدتُ قريشا على ما في الصحيفة ، وتأولتُ في بيعة العقبةِ، ونفرتُ إلى العير ببدر، وانخذلت بثلث الناسِ يومَ أحد، وتخلفتُ عن صلاةِ**

العصرِ في بني قريظة، وأنفتُ من إمارة أسامةَ ، وزعمتُ أن بيعة أبي بكرٍ كانت فلتةً، ورجَمتُ الكعبة، وصلبتُ العائذَ بها على الثّنية، لكان فيما جَرَى على ما يُحتمل أنْ يُسمى نَكالاً ، ويُدعى ولو على المجازِ عِقاباً.."[36].

الملاحظ على هذا النموذج إن النسق العام في النص هو الشفاعة والرجاء كون الأنا/ ابن زيدون يطلب العفو والصفح عنه من الآخر/ ابن جهور، فيظهر في النص نسق مضمر إلى جانبه وهو نسق (تعظيم الذنب) فيقوم بطريقته الأدبية وحذاقته وفهمه الواسع للثقافة الدينية التي كانت شائعة في عصر (بسرد تأريخي للذنوب العظام) ؛ وهذا يُعد نسقاً مضمراً؛ فبدأ ابن زيدون بذكر ذنب آدم واستمر بسرده التاريخي لهذه الأحداث إلى أن انتهى إلى ما بعد الدعوة الإسلامية؛ وعضد كلامه بذكر عبارات الدعاء بالمرجو مستعطفاً إياه .

الخاتمة

بعد أن تم البحث بحمد الله تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- إنّ مصطلح الشفاعة ورد بلفظه ومعناه بمعنى أنّ بعضاً من النصوص لم ترد فيها لفظة شفاعة صريحة بل وردت فيها معاني لمفردات مرادفة كالواسطة والعناية والتوسيط؛ وفي بعض الأحيان لا ترد أيٌّ من هذه الألفاظ بل يُفهم من سياق النص النبرة الاستعطافية التي يوجهها الأنا إلى الآخر للتعبير عن حاجات المشفوع لهم ورفع مظالمهم لدى أصحاب الشأن.
- أن موضوع الشفاعة تناول جانباً مهماً من جوانب المجتمع وقد تضمنت الرسائل التي وردت في حقبة الطوائف والمرابطين أنساقاً مهمة منها: نسق الاستعطاف والتودد بغرض قضاء الحاجة وكانت الشفاعة توجه إلى أصحاب السلطة والرؤساء ؛ وقد نجحت طائفة من الأدباء في إظهار هذا اللون من النثر الفني محملاً بأنساقٍ عدة.
- كانت النصوص الشفاعية معبرة عن حال المشفوع لهم وقد ركّز كتّاب الشفاعة الأندلسيون في نصوصهم الشفاعية في الشفاعة للأدباء وطلب المساعدة اليهم ، وهذا يدلّ على مدى التضامن الاجتماعي بين الأدباء.
- بيَّنت رسائل الشفاعة الاندلسية منزلة ذوي الجاه والاقدار في مساعدة المحتاجين وتعددت الشخصيات التي يطلب لها الشفاعة ومنهم (الادباء ، ومنهم المحتاجون للمساعدة المادية ، ومنهم السجناء والاسارى) .

الهوامش

(1) ظ: النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين:202.

(2) أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري: 298.

(3) دراسات في الادب الاندلسي: 19، ظ: تاريخ النقد الادبي في الاندلس :33 .

(4) معجم العين :260/1–261.

(5) جمهرة اللغة :60/3.

(6) معجم مقاييس :201/3.

(7) لسان العرب:183/8–184.

(8))صبح الاعشى: 124/9.

(9) المفردات في غريب القرآن :263.

(10) النهاية في غريب الحديث :485/2.

(11) ظ:إثبات الشفاعة :5.

(12) معجم التعريفات :109.

(13) ظ: ابن زيدون: هو أحمد بن أبي بكر عبد الله بن أحمد ابن غالب المخزومي القرطبي الوزير والشاعر أبو الوليد ابن زيدون الأندلسي توفي سنة 463 هـ له ديوان شعر والرسالتان الجدية والهزلية فضلاً عن كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس، ظ: هدية العارفين : 42/1 ،الأعلام : 485/1 .

(14) ظ: المظفر بن الافطس: وهو المظفر ابو بكر محمد بن عبدالله بن مسلمة المعروف بابن الافطس، وهو جد بني الافطس الذي استقل عنهم بجهة الغرب من الاندلس، وأسس فيها الإمارة المنسوبة إلى بني الأفطس في سنة (437هـ)، ظ: النثر الأندلسي في القرن الخامس مضامينه واشكاله: 96.

(15) الذخيرة: 1/ 245.

(16) ظ: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري: 310.

(17) ظ: الزرزوريات نشأتها وتطورها في النثر الاندلسي : 7، وظ: رسائل ومقامات اندلسية : 29 .

(18) ظ: تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين : 295.

(19) ظ: رسائل ومقامات اندلسية : 29.

(20) ظ: توظيف الموروث الثقافي في النثر الفني الاندلسي : 173.

[21] ظ: الزرزوريات نشأتها وتطورها في النثر الاندلسي : 14 – 15 ، والادب الاندلسي – النثر – الشعر – الموشحات : 439 ، 453.

[22] ظ: ابو الحسن بن السراج: هو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة , يُكنى أبا الحسين , كانت له عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها روى عن أبيه كثيراً , وعن أبي عبد الله محمد بن عَتَّاب الفقيه وغيرهما , كان حسن الخلق كامل المروءة, فهوكاتب له منزلة رفيعة في العلوم الدينية، واللغوية ت508هـ، ظ: قلائد العقيان:623/3.

[23] النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: 131.

[24] الذخيرة : 2/ 217- 218.

[25] ظ: تاريخ الأدب الأندلسي: 295.

[26] ظ: أبو الفضل محمد بن شرف القيرواني (444هـ -534هـ) :هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني وأصله منها , وبها ولد سنة (444هـ) وكانت وفاته بالأندلس (534هـ) وهو من جلة الأدباء وكبار الشعراء ،ظ : قلائد العقيان:791 , والصلة :298/1 , والخريدة :23/2.

[27] الذخيرة:118/4.

[28] الذخيرة: 1/ 194-195.

[29] ظ: ابن خفاجة (ت533هـ): هو أبو إسحاق إبراهيم بن ابي الفتح أبن خفاجة الخفاجي الأندلسي الجزيري وهو شاعر مشهور متقدم حسن الشعر خبيث الهجاء وشعره كثير مجموع وكانت له همة رفيعة ظ: قلائد العقيان : 739 , الذخيرة :541/2/3 , خريدة القصر :147/2.

[30] الذخيرة: 339/3.

[31] رسائل الشفاعة:107.

[32] ظ: ابو محمد بن عبد البر: هو عبد الله ابن الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ القرطبي، سكن بلنسية مع أبيه، وكان من أهل العلم والأدب والبلاغة، مات قبل أبيه بدانية، ظ : بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس : 341 والصلة 279/1 وجاءت وفاته في الصلة سنة(458هـ)، بينما جاءت وفاته في الذخيرة سنة (474هـ) : 126/1.

[33] الذخيرة :136/3.

*سلك الشافع هناك الطريق الذي سلكه من قبل الحطيئة في قصيدته التي بعثها للخليفة عمر بن الخطاب عندما سجنه ،ديوان الحطيئة : 108- 170،إذ قال :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغبُ

الحواصلِ لا ماءُ ولا شجرُ

غيَّبت كاسبهم في قعرِ مُظلمةٍ فاغفر عليك

سلامُ الله يا عمرُ

[34] الذخيرة :ق 3 / م1 / 213.

[*] رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ منهُ الحِمامُ ، هو عجز بيت للمتنبي وصدره:

ذَلّ مَن يَغبِطُ الذّلِيل بعَيشٍ

ينظر : ديوان المتنبي /164.

[35] قلائد العقيان : 460.

[36] الذخيرة:

المصادر

القرآن الكريم

- إثبات الشفاعة ، تأليف شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت 748ه) تح، ابراهيم باجس عبد المجيد،ط1(1420ه_ 2000م) مكتبة أضواء السلف
- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، للنشر والتوزيع، ط1، عمان ـ الأردن،1989م.
- جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 312هـ) ، تح : دمندي منير بعلبكي ، ط1 ، 1978م ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان .
- دراسات في الأدب الأندلسي: إحسان عباس وآخرونـ الدار العربية للكتاب، د.ط، ليبيا، 1979م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ)، تحق: هلال ناجي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1976م.
- رسائل الشفاعة في النثر الأندلسي دراسة تحليلية :إخلاص ناصر عباس الدعمي ،كلية التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة كربلاء: 2016م.
- رسائل ومقامات اندلسية:تحق: د. فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف، د.ط، الاسكندرية، 1989م.
- صبح الأعشى ، تأليف ، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ) ، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ، (1331هـ - 1913م) .

- العين :أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه)، تح: د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ،دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية ،1980م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان (ت529هـ)، تحق: د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، 1989م.
- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، م1 ، دار صادر ـ بيروت.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1992م.
- معجم التعريفات ، تأليف ـ العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت816ه) ، تح ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة .
- معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (395) ، تح ـ وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت 502هـ) ، تح : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله: علي بن محمد ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ـ لبنان، 1990م.
- النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين: د. حازم عبدالله خضر، دار الحرية للطباعة، د.ط، بغداد، 1981م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تأليف ، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير رحمه الله تعالى ، تح ـ أشرف عليه وقدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي ، دار ابن الجوزي ، ط1 ، جمادي الأولى ، 1421هـ ، المملكة العربية السعودية .